دار التوحيد
لتحفيظ القرآن الكريم

وقفات تربوية مع سورة الحديد

برنامج التدبر الملزمة الثانية عشر

جمع وإعداد :
نجلاء السبيِّل

للاستفسار:
٠٥٤٠٧٠٢٠٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

تدبر سورة الحديد

مستعينين بالله،،

متوكلين عليه،،

مستمدين منه المعونة والتوفيق،،

نستفتحُ سورة الحديد

نحنُ أمام سورة عظيمة، وكلُ القرآن عظيم..!

إلا أن هذه السورة لها في قلب قارئها مذاقاً خاصاً، مذاقاً مختلفاً. ربما يشعر معها بشيء من الخشوع، بشيء من القُرب، بشيء من الأمل وكأنها الدواء الذي يأتي على الجُرح فيبرأ!!

بها آياتٌ تلامس القلب مباشرة، تُشعر القارئ أنها تُخاطبه هو تحديداً دون بقية البشر!

ومتى ما وصل قارئ القرآن لهذا الإستحضار وهذا التعايش مع الآيات فقد بدأ في طريق التدبر من غير كتب ولا أوراق..!!

وتنعّم بأن يكون القرآن ربيعاً حياً، مورقاً، مزهراً في قلبه، وبذلك يتذوق دعوة النبي ﷺ حين قال "**اللهم اجعل القرآن ربيع قلبي**"[١]...

نسأل الله من فضله

---

[١] السلسلة الصحيحة (١٩٩)

بين يدي السورة:

◆ سورة الحديد سورة مدنية ما عدا آية واحدة مكية وهي التي عاتب الله فيها الصحابة حين استبطأ قلوبهم.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦) ﴾

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: **ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين**[١].

◆ سُميت بسورة الحديد لورود لفظ الحديد فيها. قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ﴾.

وبالرغم أن لفظ الحديد ذُكِر في سورة الكهف وهي سابقة في النزول على سورة الحديد لكنها لم تُسمَّ به، لأنها سُميت باسم الكهف للاعتناء بقصة أهل الكهف، ولأن الحديد الذي ذُكِر هنا جاء في سياق الأمر بإعداد القوة التي تحمي العدل، ويُجاهد به الأعداء، وتُصان الحقوق، فيُصنع منه السلاح والسيوف والدروع والرماح والصواريخ...، فمنافع الحديد لا تُحصى ومامن صناعة إلا وهو آلةٌ فيها..[٢].

◆ ورد في سورة الحديد آيةٌ هي بألف ألف آية.

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ المسبحات، ويقول " فيها آيةٌ خير من ألف آية"[٣].

قال ابن كثير: الآية المُشار إليها في الحديث والله أعلم هي قول الحق سبحانه ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) ﴾.

◆ تكرر في سورة الحديد لفظ الإيمان بمشتقاته خمس عشر مرة.

◆ ورد فيها جزاء الإيمان وهو (النور) وتكرر لفظ النور ثلاث مرات.

---

[١] صحيح مسلم- الحديث رقم (٣٠٢٧)

[٢] موسوعة التفسير الموضوعي- بتصرف.

[٣] رواه الترمذي وقال حسن غريب وحسنه الألباني

- ذُكر فيها البرهان العملي على الإيمان وهو (الإنفاق) وتكرر لفظه أحد عشر مرة.
- أيضاً بدأت السورة بكم هائل من الاسماء والصفات ما يقارب خمسة عشر اسماً وصفة على الإجمال. وكما هو معلوم بأن أول مقومات الإيمان هو معرفة الأسماء والصفات.
- أيضاً ذُكِر في السورة ما يقارب من سبع محاور تُعين على تحقيق الإيمان وهذا ما سنتدارسه بإذن الله فيها.

ومن هنا استدل العلماء أن مقصود سورة الحديد **ترسيخ الإيمان في قلوب المؤمنين**.

هي لا تتحدث عن الإيمان فقط، بل عن تحقيقه وترسيخه، وهذا اللفظ أدق وأخص وله مغزى لأن الله عز وجل لا يريد إيماناً يدَّعيه صاحبه إدعاءً، لا يريد إيماناً لا يُغيّر في السلوك، لا يريد إيماناً ضعيفاً هشاً مهزوزاً لا يعين صاحبه على عبادة أو طاعة أو بذل أو تغيير..!

إنما يريد إيماناً حقيقياً راسخاً ثابتاً يُحرك صاحبه، يؤثر على حياته وسلوكه وأخلاقه ونظرته للكون، إيماناً يزداد به بصيرةً وفرقاناً فيستطيع أن يرى الأمور على حقيقتها دون تلبيس عليه.

وكما أن الناس فيما يبصرونه بأعينهم في الدنيا على أقسام: أعمى.. وأعشى.. وذو بصر.. وزرقاء اليمامة..! هم كذلك في بصيرة القلب: أعمى.. وأعشى.. وذو بصر.. وزرقاء اليمامة..! ***وإنما تتفاوت بصيرة القلب بحسب قوة الإيمان.***

يريد الله منا إيماناً كله نور يبدد الظلمات التي تحيط بالإنسان: ظلمة الطبع، ظلمة الغفلة، ظلمة الجهل، ظُلمة الهوى وظُلمة المعاصي.

وكلما حققت الإيمان ستخرج من هذه الظلمات التي تحيط بك ومن ثم ستتذوق طعم وحلاوة الإيمان.

ومن فضل الله علينا في هذه الدنيا أنه يذيقنا لذائذَ وطعوم لا تُذاق إلا بالقلب ولا يذوقها إلا أهل الإيمان خاصة. قد تكون لذة التوبة والرجوع، لذه الندم والدموع، لذة الخلوات وطيب السريرة، لذة حب الخير والإحسان إلى الخلق .

تأمل قول النبي ﷺ :"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[١].

ياترى كم في قلب هذا المؤمن من اللذات؟ وكم ذاق هذا الإنسان من الطعوم؟؟

---

[١] البخاري (١٣) ومسلم (٤٥)

مؤمن يحب لأخيه الخير بل يفرح به، يفرح حين يرى الخير أصاب أهله واخوانه وجيرانه، يبتهج حين يرى نعِم الله وأرزاقه عليهم، يُسرّ، يبتهج، يتنفسُ معهم الفرح. كم هو مُنعّمٌ صاحب هذا القلب..!

ثم قارن بينه وبين قلب الحاسد الذي يغلي ويمتلئ غيظاً بل ربما ظهر الزبد على سطحه من شدة الغليان ومن شدة ما يكره الخير للآخرين!

ما الذي نعّم هذا وما الذي عذّب الآخر؟ إنه القلب حين يحقق الإيمان تحقيقاً صحيحاً وليس ادعاءً يدَّعيه.

قال ﷺ: "ذاق حلاوة الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً"[١].

---

[١] رواه مسلم (٣٤)

اللقـاء الأول

وقفـات مع الآيـات (1-11)

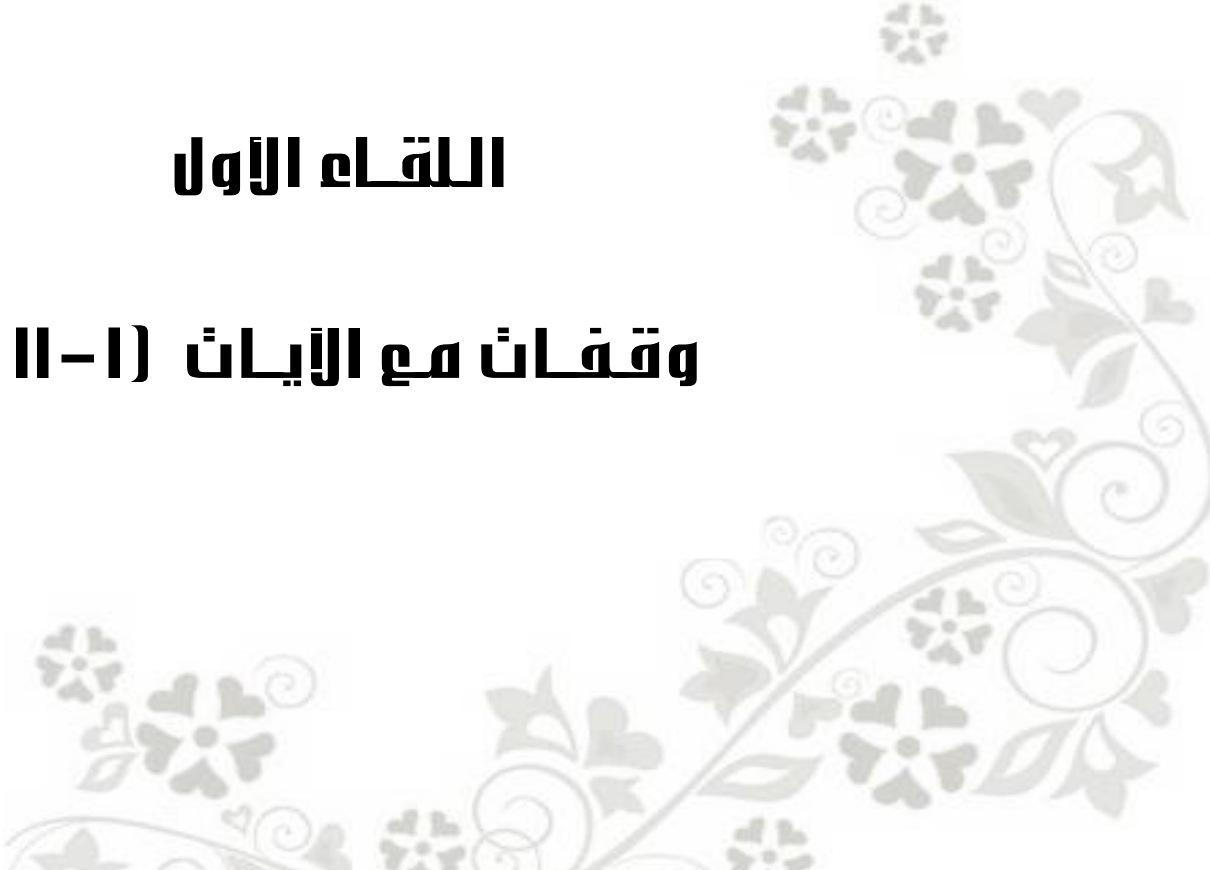

اللقـاء الأول

قال تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ (٥) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٦)﴾

بدأت السورة بالتسبيح. ولو تأملت كتاب الله تعالى لوجدت أن التسبيح جاء بجميع الصيغ: الماضي والمضارع والأمر (سبَّح، يسبِّح، سبِّح). وفي هذا إشارة إلى أن جميع أوقات الزمان ولحظاته وثوانيه مملوءة بالتسبيح، وهو عبادة جليلة مستمرة متواصلة لا تنقطع.

فالكون كله يسبح: الأرض تسبِّح، والسماء تسبِّح، والجمادات تسبِّح، والشجر والرعد والدواب والطيور تسبِّح، والبحار والأنهار كلها تسبِّح.

قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء:٤٤].

وقد يُسمِع الله سبحانه وبحمده بعض خلقه تسبيح الكائنات كما أسمع الصحابة رضوان الله عليهم تسبيح الطعام والحصى في كف رسول الله ﷺ.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: **كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل**[١].

ومعنى التسبيح هو تنزيه الله عن كل عيب ونقص وسوء عما لا يليق به سبحانه وبحمده أي أن التسبيح في مجمله تعظيمٌ لله.

وكون هذه السورة بدأت بالتسبيح ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)﴾ إقرارٌ له بالوحدانية والربوبية وإشارة إلى أن هذا الكون كله خاضعٌ لعظمة هذا الإله العزيز الحكيم.

العزيز الذي لا يُغالب ولا يُمانع والذي قهر كل شيء ومع عزته فهو حكيم يضع كل شيء في موضعه، حكيمٌ في أفعاله وأقداره وأوامره، فلا تحمله عزته أن يظلم أحداً من خلقه سبحانه وبحمده.

---

[١] صحيح البخاري (٣٥٧٩)

مما يلفت الإنتباه في هذا المقطع الأول من السورة أن فيه حشد كبير من أسماء الله وصفاته، وهنا يأتي تساؤل: ما الرابط بين أسماء الله وصفاته وبين سورة تتحدث عن تحقيق الإيمان؟؟

والجواب: إن أكبر وأعظم وأكثر ما يزيد الإيمان ويقويه ويرسخه في القلب أن تعرفَ من هو الله، فإذا عَظُم الله في قلوبنا عَظُم الإيمان وعَظُمت العبودية. وإذا ضَعُفَ الله في قلوبنا ضَعُفَت العبودية واختلت موازينها.

لذا كان النبي ﷺ حريصاً على غرس هذه المعرفة في نفوس أصحابه رضوان الله عليهم، والقارئ لكتاب الله عز وجل يجد أن الله عز وجل ما زال يعرّفنا بأسمائه وصفاته في كتابه.

- انظر إلى أعظم آية في القرآن **(آية الكرسي)** كلها تتحدث عن الله، وعن أسمائه وصفاته.
- السورة التي تعدل ثلث القرآن **(قل هو الله أحد)** كلها أسماء وصفات.

فأعظم ما في القرآن آيات التوحيد، وأخصُ آيات التوحيد آيات الأسماء والصفات لأنها تتكلم عن الله وإنما تتفاضل الآيات بالمعاني والدلائل التي تدل عليها. وكلام الله عن نفسه أعظم من كلامه عن خلقه.

فالعبودية لا تكتمل ولا تتم ولا تتحقق إلا إذا عرف الإنسان ربه والعبد لا ينصلح حاله ولا يستقيم ولا يتلذذ بعيش إلا إذا عرف ربه!

والقلب لا يمكن أن يذوق طعم السعادة والأُنس والحياة الطيبة إلا إذا عرف ربه!

لذلك يسمون علم الأسماء والصفات بـ **(طب القلوب)** وكأن الإنسان متى ما فُتِح عليه بهذا العلم وهذه المعرفة فقد رُزِق قلباً جديداً.

إذاً الوسيلة الأولى لتقوية إيمانك وترسيخه هو أن تعرف ربك بأسمائه وصفاته.

قال تعالى: ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢)﴾.

الله هو المالك لكل شيء ملكاً حقيقياً لا ينازعه فيه أحد. مُلك لا يزول ولا ينتهي.

ملوك الدنيا مهما حكموا ومهما ملكوا فإنهم يزولون ويبقى مُلك الحي القيوم الذي يحيي ويميت، الحياةُ بيده والموتُ بيده وهو على كل شيء قدير. قدرته المُصاحبة لملكه قدرة مطلقة لا يقف أمامها شيء.

يُعزُّ أقواماً ويُذلّ آخرين، يرفعُ أقواماً ويضعُ آخرين، يُقبل بقلوب ويصرفُ قلوب، يعطي ويمنع، يعفو ويعاقب، يقدم ويؤخر، يرد غائباً، يفتح مُغلقاً، ييسر عسيراً، يُصلح عاصياً.... يفعل في ملكه ما يشاء.

❖ اسم الله (الملك).

من الأسماء المؤثرة جداً في حياة الإنسان.. وأول أثر إيماني لهذا الاسم:

١- أنه يحرر الإنسان من الضعف والخوف واليأس والقنوط والذل، ويحرره من المخلوقين وأنهم مهما تجبروا وتسلطوا وطغوا وانتفشوا فهم في قبضة الملِك لا يخرجون عن ملكه، لو أراد أن يخسف بهم لفعل لا يمنعه شيء ولا يُعجزه شيء سبحانه وبحمده.

٢- هذا الاسم يُطمْئِن المؤمن كثيراً إذا ضاقت عليه الدنيا، وتسلط عليه أهلها، فآذوه ومنعوه وهضموا حقوقه، فهو يعلم أن الدنيا ليست داراً لاستيفاء الحقوق وإنما استيفاء الحقوق كاملاً سيكون هناك في الآخرة وأن الملِك سيُنصفه غداً إذا وقف بين يديه.

اعملوا ما شئتم فإنا صابرون، وجُوروا فإنا مستجيرون، واظلِموا فإنا إلى الله متظلمون، وسيعلم الذين ظلموا أي مُنقلب سينقلبون.

٣- أيضاً من عرف مُلك الله وتدبر فيه ونظر بعين بصيرته إلى السموات والأرضين والعرش، والملائكة وحملة العرش، والجن والإنس والدواب، وتأمل كيف يدبر الله أمر خلقه ولا يعجزه هذا التدبير انغرس في قلبه اليقين والثقة بالله عز وجل، والثقة بعطاء الله ، فيصبح قلبه ثابتاً كالجبل، عنده يقينٌ بكفاية الله، ويقينٌ بحفظ الله، ويقينٌ بتدبير الله، وأن الله الذي دبر أمر هذا الكون لا يعجزه أن يدبر أمره وهو العبد الضعيف الذي لا حول له ولا قوة.

فلو أراد الله لشيء أن ينصلح سينصلح، ولو أراد لشيء أن يتغير سيتغير ﴿ كُلَّ يَومٍ هُوَ فِي شَأن (٢٩)﴾ [الرحمن]، سبحانه ﷻ فهو وحده مالك السموات والأرض لا شريك له في ملكه يتصرف فيه كيف يشاء.

قال تعالى: ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) ﴾.

هذه الأسماء الأربعة قال عنها ابن القيم: "**فيها جِماعُ المعرفةِ بالله، وجِماعُ العبوديةِ له**"[١].

وهذا يجعل الإنسان حريصاً جداً جداً على أن يتعلمها ويفهمها ويتعبد الله بها، وقد وردت هذه الأسماء في السنة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقضِ عنا الدين واغننا من الفقر"[٢].

اسم الأول والآخر سنشرحه من ناحية الأسباب:

❖ اسم الله (الأول).

عرّفه النبي ﷺ فقال: الأول الذي ليس قبله شيء.

كان الله ولم يكن شيء قبله سبحانه وبحمده، هو المُبتدئ بالإحسان من غير وسيلة ولا سبب من العبد. هو الذي ابتدأك إعداداً وإمداداً: أي خلقك وأعدّك وأمدّك.

خلق لك الأسباب، هيأها لك، ساقها لك، يسرها لك، أعانك على الانتفاع بها، فانظر إليه بسبق الأولية أي انه سبحانه وبحمده الأول قبل الأسباب كلها.

❖ اسم الله (الآخر).

عرّفه النبي ﷺ هو الذي ليس بعده شيء.

كل شيء يهلك ويفنى وينتهي ويزول ويبقى سبحانه الواحد القهار ﴿ كُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ إِلا وَجهَهُ ﴾ [القصص:٨٨].

فهو الآخر الذي تنتهي دونه الأسباب ويبقى بعد الأسباب كلها. فلو انقطعت الأسباب وعُدِمت وفُقِدت لا يعني هذا أن عطاء الله انقطع، بل يبقى الله هو الآخِر الذي يعطي لطفاً وهبةً من عنده بدون أسباب.

---

[١] كتاب طريق الهجرتين

[٢] صحيح مسلم (٢٧١٣)

** كيف أحقق الإيمان من خلال اسم الله (الأول والآخِر)؟ وكيف أتعبد الله باسمه (الأول والآخِر)؟

- المؤمن ينظر للأسباب ويؤمن يقيناً بأنها غير مؤثرة بذاتها بل إذا أراد الله أن يُمضيها أمضاها ونفعت، وإذا أراد الله أن يعطلها عطلها فلم تنفع!

بلاء أهل التوحيد تأتي في الأسباب. نعم نحن مأمورين بالأخذ بالأسباب ولكن لا نعلق قلوبنا بها..! فكل الأسباب الموصلة للأرزاق أياً ما كانت الأرزاق، أرزاق قلوب من محبة ورحمة وخوف ورجاء وتوكل وإخبات وحكمة....، أو أرزاق جوارح (من وظيفة ومال وزوج وذرية وسكن) لا يأتي بها إلا الله ولا يخلقها إلا الله ولا يسوقها إلا الله.

وكما قال العز بن عبد السلام رحمه الله: **والله لن يصلوا إلى شيء بغير الله.**

فهو سبحانه وبحمده خالق الأسباب ومسبب الأسباب، والناسُ لا حول لهم ولا قوة في تهيئتها والإتيان بها.

○ فإذا قام في قلبك إرادة أي عمل أومطلوب أو مصلحة فاحرص أن تكون التفاتة قلبك الأولى لله قبل الالتفات للأسباب واعلم أنه كلما التفت القلبُ للرب صح فِعل العبد.

والخلاصة: امشِ بقدميك واسع بجوارحك، خذ بالأسباب ولكن لا تثق بها ولا تركن إليها ولا تعلق قلبك إلا بمسبب الأسباب وخالقها ﷻ، منه ابتدأ الأمر وإليه يرجع. وهذا ليس كلاماً تنظيرياً إنما هو دين وعقيدة وتوحيد نوحّد الله به.

وتطبيقُ هذا الأمر ليس سهلاً فتدريب القلب على الاعتقاد أصعب بكثير من تدريب الجوارح، لذا نحتاج إلى قلب يقِظٍ، حيّ، يلتفتُ في الصغيرة قبل الكبيرة إلى ربه. ومتى ما جرّد الإنسان قلبه من الأسباب وتعلق بالله وحده دخل دائرة **من يُرزقون من حيث لا يحتسبون.**

ترتفعُ كفاية الله لهم، فالله حسبهم وكافيهم تأتيهم الدنيا وهي راغمة..! هؤلاء وضعوا أقدامهم في منزلة التوكل وهي أعلى منزلة وأعلى مقام يصل إليه محقق التوحيد.

وما الذي ميّز السبعون ألفاً الذين سيدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب؟ إنه التوكل وقوة التفويض وتعلّق قلوبهم بالله مسبب الأسباب لا بالأسباب.!

نسأل الله أن يجعلنا منهم

❖ اسم الله (الظاهر).

عرفه النبي ﷺ فقال: الذي ليس فوقه شيء.

وسنشرح هذا الإسم من ناحية العلو، فالله له العلو المطلق.

- **علو الذات:** الله سبحانه وتعالى عالٍ بذاته على خلقه، فوق كل شيء، مستوٍ على عرشه ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر:١٠].
- **علو القدر (الصفات):** الله له الكمال المطلق في الصفات وليس فوق كمال صفاته كمال ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١].

يعتقد الموحد أن الله كامل الصفات: أي أنه لا يظلم عباده ولا يُهلك عباده ولا يضيع عباده، حَكَمٌ عدلٌ سبحانه وبحمده، فلكما امتلأ الإنسان بهذا الكمال جَمعَ قلبهُ على ربه وجعل الله محط رجاءه وصمداً يصمد إليه وملجأ يلجأ إليه ويفر إليه في كل وقت.

- إيمانك بأن الله كامل الصفات في مقابله يجب أن تؤمن أن الله يعامل عباده بكمال صفاته.. وكيف يكون هذا؟

مثاله: إذا أذنب العبد فإن الله يحلم عليه فلا يفضحه ولا يعاجله بالعقوبة ولا يهتك ستره من أول مرة، بل لا يزال يرحمه ولا زالت أجهزته كلها تعمل في جسمه، لا زالت أموره ووظيفته وأهله وأولاده بخير.

يعامله الله بحلمه ورحمته وستره ولطفه لعله يتوب، لعله يرجع، قد ييسر له عملاً صالحاً، ييسر له صدقةً، درساً، حجاً، عمرة، فيفتح له الطريق يفتح له أبواباً للطاعة بشيء فيها ومنها يعود، فإذا الأبواب تصبح باباً تلو باب، وإذا به يزيد في الطاعة.

وكلما زاد بالطاعات شعر بذنوبه أكثر وأكثر وانصلح قلبه أكثر وأكثر، واقترب من ربه أكثر وأكثر، فيصبحُ إنساناً شديدُ الحياء من ربه، تكسِرهُ النعمة، وتكسِرهُ التوبة، ويعلم أن كل ما هو فيه من الرزق إنما هو من كريمِ حِلم الله وعظيم ستره عليه فيصدق في توبته ويكرر توبته ويتفقد توبته حتى يرسخ الإيمان في قلبه.

- **علو القهر:** إذا أراد أمراً أن يكون سيكون ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢١) ﴾ [يوسف:٢١].

قد يتساءل البعض: لماذا لم ينصر الله المسلمين في بقعة ما؟! لماذا لم ينتقم من أعداء الدين الذين طغوا وبغوا وعاثوا فساداً في البلاد والعباد؟!

الجواب: الله قادر على إنفاذ أمره في الحال ولكن بمقتضى حكمته ﷻ أن أمره وتدبيره لا يكون إلا في الوقت الذي يريد وعلى الصورة التي يريدها هو سبحانه.

والله له سنن في خلقه منها (سنة الإملاء) : يستدرجهم ويُملي لهم ثم إذا أخذهم أخذهم على غرة أخذ عزيز مقتدر.

والموحد على ثقة كاملة ويقين تام بأن الله قادر على أن ينهي كل شيء في غمضة عين ولكن مشيئته مرتبطة بحكمته سبحانه وبحمده ولا يعجل لعجلةِ أحدٍ من خلقه.

❖ اسم الله (الباطن).

الذي ليس دونه شيء. فهو أدنى لخلقه وأقرب لعباده من أنفسهم وسنناقش هذا الإسم من ناحية القُرب.

قال ابن القيم رحمه الله: وأما تعبّده باسمه الباطن فأمرٌ يضيقُ نطاق التعبير عن حقيقته ويكلّ اللسان عن وصفه[1].

وحتى يُفهم قرب الله لا بد أن تُفهم المعية، وهي نوعان:

معيّة عامة: يقول تعالى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ مع جميع عباده المؤمن والكافر، والبر والفاجر بعلمه وإحاطته وتدبيره لشؤونهم.

معيّة خاصة: وهي للمؤمنين فقط، معيّة الولاية، النصرة، المحبة، التوفيق، الحفظ ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) ﴾ .. ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩) ﴾ .. ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٢٣) ﴾ .

ويتفاوت المؤمنون في معيتهم الخاصة على حسب قوة الإيمان وتحقيق الوصف.

- فكلما زاد الإيمان وحقق العبد الوصف كان حظه من المعيّة أكثر ومن قُربِ الله أعظم.

مثال:

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) ﴾ .. الوصف الذي يستلزم المعية هو الصبر.

---

[1] طريق الهجرتين

هل كلنا في الصبر سواء؟ لا بل نتفاوت من ثلاثة نواحي:

- قوة الصبر وضعفه.
- سرعته وتأخره.. فرق بين من يصبر عند الصدمة الأولى وبين من يحتاج إلى أيام حتى يستجمع شتات نفسه ويصبر.
- رضا العبد عن ربه.. فرق بين من يحاول أن يرضي نفسه وبين من يمشي مع البلاء كيفما مشى به!!

هذه الفوارق تؤثر في المعية والقُرب، كلما زاد الصبر من ناحية قوته وسرعته، ورضا العبد عن ربه كلما اشتدت معية الله له.

وأخصُّ ثمرات المعية: هي المحبة، حُب الله لهذا الصابر ومن أحبه الله لم يعذبه.

ألا يكفيكم يا أهل البلاء، يا أهل المصائب والأوجاع، والدموع والأحزان حب الله لكم إن أنتم صبرتم؟؟

○ إذا استشعرت هذا القُرب وامتلأ به قلبك وجعلتَ الله هو مُرادك وغايتك، وهو أعلى ما ترجوه وأعظم ما تُريده ستعرف كيف تتعبد الله باسمه الباطن، ولن تبحث عن قُربٍ أخص وأعظم من قرب الله، ولتيقنت يقيناً لا يخالجه شك أنه مهما اقتربَ منك الخلقُ والبشر، فسيأتي يوم ينتهي فيه الخلق ويبقى الله...

○ هذا ما يعتقده المؤمن الموحد في اسم الله الظاهر الباطن، أن الله عالٍ على خلقه وفوق خلقه ومع علوّه فهو قريب.﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة:١٨٦].

يسمعُ الأصوات إن ارتفعت وإن انخفضت، يسمع الدعاء والمناجاة، يعلم السرّ وأخفى.

قال ﷺ: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء"[١].

لما أخذ الصحابة رضوان الله عليهم يكبرون بصوتٍ عال وهم في سفر التفت إليهم رسول الله ﷺ وقال: "يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدْعونَ أصمَّ ولا غائباً، إن الذي تدعونه سميعٌ قريب أقربُ إلى أحدكم من عنق راحلته"[٢].

---

[١] مسلم (٤٨٢)

[٢] البخاري (٦٣٨٤)

قال تعالى: ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٨) هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ (٩) وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠) مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١)﴾.

بعدما انتهت آيات الصفات والتعريف بالله جاء الأمر الصريح بالدعوة للإنفاق في سبيل الله ﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾.

قرن الله تعالى ما بين الإنفاق والإيمان والسرّ في هذا الاقتران أن الإنفاق هو البرهان العملي للإيمان والعلامة الظاهرة عليه كما قال ﷺ: " الصدقة برهان"[1].

برهانٌ على ماذا؟ برهانٌ أن الإيمان استقر في قلب صاحبه فأثمر عملاً، وكان باعثاً قوياً على العطاء والبذل والانفاق سواء كان الإنفاق مادياً أو عملياً أو جسدياً.

ثم بيّن الله في الآية حقيقة المال وأنه عَرضٌ زائل ذهَبَ عن غيرك وأتاك فطالما أنه بين يديك الآن فأنت مُستخلَف فيه، فأنفِق منه قبل أن ينتقل منك إلى غيرك!

ثم حث الله عباده على الإنفاق وحفّزهم ورغّبهم حيث ذكر لهم أجر الإنفاق وقال ﴿ لَهُم أَجر كَبِير ﴾، وكبيرٌ من الله ليست كما يقولها البشر، فما دام أن الله قال عنه كبير فمن يستطيع أن يقدر قدره؟!!

ثم تأتي الآية التي بعدها لتقرر قاعدة كبيرة ومهمة: ﴿ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾.

- ما هي هذه القاعدة؟

[من سبق إلى الخير فهو أحق به]..

---

[1] جامع العلوم والحكم- الحديث الثالث والعشرون

والسبق له ميزته.

- الله عز وجل في سورة الواقعة أول ما مدح ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾[الواقعة:١٠].
- النفر الذين دخلوا على النبي ﷺ وهو جالسٌ في المسجد والناس معه، فأما أحدهم فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها وأما الآخر فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهباً. فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ؟

أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه[١].

ما الفرق بين الأول والثاني؟؟

هذا جلس وهذا جلس، ولكن الأول أسرع وبادر وسبق فتقدمْ به سبْقه.

- النبي ﷺ حين مدح الذاكرين مدحهم بصفة السبْق فقال: سبق المفرّدون، قالوا: ومن المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات[٢].

وهناك سبقٌ ليس كمثله سبق وهو من سَبقَ في التوحيد، حين أخبر الرسول ﷺ عن الـ (سبعون ألفاً) الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا سابقة عذاب، قام عكاشة بن محصن رضي الله عنه وقال: ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال الرسول ﷺ: أنت منهم. ثم قام رجل آخر فقال: ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: سبقك بها عكاشة[٣].

**كيف يحقق العبد السبق؟

يحق العبد السبق بأمرين:

الاول: العمل القلبي. بقدر صدقك وإيمانك، فالصدق يقفز بصاحبه.

وما زال الصدق يرتقي بصاحبه حتى ينتهي به إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر.

الثاني: عمل الجوارح. بقدر سرعتك ومبادرتك واغتنامك الفرصة.

لا يستوي من يسبق مع من يتأخر، ولا يجعل الله عبداً أسرع إليه كعبد أبطأ إليه.

---

[١] رواه مسلم (٢١٦٧)

[٢] رواه مسلم

[٣] أخرجه البخاري (٣٤١٠) ومسلم (٢٢٠)

وهذه الآية نزلت في الصحابة فمن أنفق قبل الفتح حين كانوا في ضعف وفقر وحاجة وقلة ناصر لا يستوي في الدرجة مع من أنفق بعد فتح مكة بعد أن أصبح للدين شوكة وتمكيناً والعقيدةُ آمنة والأنصار كثير، فالذين أنفقوا من قبل اعلى درجةً من الآخرين وإن كان كلا الفريقين موعودٌ بالجنة، إلا أن الجنة درجات يتفاوت فيها الناس، والله عليمٌ بأحوالكم ولا تخفى عليه نياتكم.

وها هي الآيات تهز قلوب المؤمنين هزاً وتستحثهم على الإنفاق وتحركه في قلوبهم أكثر وأكثر فجاءت بلفظ القرض ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٌ كَرِيمٌ (١١) ﴾.

من ذا الذي يُنفق ماله في سبيل الله ابتغاء رضوانه. وسُمي ذلك الإنفاق قرضاً حسناً، حثاً للنفوس على البذل، لأن الباذل من علِمَ أن المستقرض مليء وفيّ محسن، كان أبلغ في طيب قلبه وسماحة نفسه ومن كرم الله أن سمّاه الله قرضاً، والمال مال الله والعبد عبده، ووعد بالمضاعفة عليه أضعافاً كثيرة[1].

- لما سمع أبو الدحداح رضي الله عنه هذه الآية جاء إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله: أو يريدُ الله منا القرض؟ قال: نعم يا أبا الدحداح، فقال يا رسول الله أرِني يدك، فناوله النبي ﷺ يده فقال: يا رسول الله إني قد أقرضت ربي حائطي، وله حائط فيه ستمائة نخلة، ثم ذهب إلى زوجته ولم يدخل لبستانه بل أخذ ينادي : **يا أم الدحداح ، قالت: لبيك، قال: اخرجي فقد أقرضته ربي عز وجل، قالت له: ربحَ بيعك يا أبا الدحداح، ونقلت متاعها وصبيانها. فقال رسول الله ﷺ: كم من عذقٍ رداح في الجنة لأبي الدحداح**[2] .

هؤلاء هم الصحابة لا يستكثرون على ربهم شيئاً، خرجوا من أموالهم، من بساتينهم، من أنفسهم من كل شيء حباً لله وبرهاناً صادقاً على هذا الحب.

ومن كان اللهُ مقصوده هانَ عليه كل شيء

أحيا الله قلوبهم بالإيمان فانطلقت جوارحهم انطلاقاً عجيباً قد لا تتصوره عقولنا

يا رب أحي قلوبنا بالإيمان وزدنا إيماناً وقرباً وذلاً بين يديك

---

[1] عقد الجمان في تفسير القرآن- عبد الملك القاسم

[2] صحيح مسلم (٩٦٥)

اللقاء الثاني

وقفات مع الآيات (١٢-٢٩)

اللقـاء الثـانـي

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٥)﴾.

الآيات تتحدث عن جزاء تحقيق الإيمان.. إنه النور!

النور: كلمة تُسَرُّ بها النفوس وتنجذبُ إليها الأسماع وتأنسُ بها الخواطر، حيثما سُمعت هذه الكلمة وأينما قيلت وكيفما وردت يجد الإنسان انجذاباً لها وشغفاً بمعناها...

الآية تصف نوراً خاصاً بالمؤمنين. .

متى يكون هذا النور وما توقيته؟

يكون يوم القيامة إذا كُورت الشمس وخُسِف القمر وصار الناس في ظلمة ونُصِب الصراط على جهنم، حينئذٍ ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم.

هذا النور ليس ثابتاً في مكانه بل هو نورٌ يمشون به، يسير معهم، يصحبهم، ينتقلون به، يجتازون به الصراط، وهذا النور يتفاوت..!

ورد في الأثر **(إن المؤمنين من نوره يوم القيامة من المدينة إلى صنعاء وإن من المؤمنين من نوره لا يتخطى إصبع قدمه)**[1].

إذاً من المؤمنين من نوره يمتد ويمتد وربما كان مثل الشمس ولكن العجيب في هذا النور أنه لا ينفع إلا صاحبه فقط، ولا يمشي ولا يتحرك فيه بالرغم من اتساعه وامتداده إلا صاحبه فقط!!

---

[1] تفسير الطبري

لماذا؟ لأن مصدرهُ الإيمان والعمل الصالح.

بقدر ما معك من الإيمان والعمل الصالح في الدنيا سيكون معك من هذا النور في الآخرة. فالذي لا يحمل نورهُ معه من دنياه لن يأتي يوم القيامة ومعه نور......

هذا النور لا يُستدرك هناك ولا يُطلب هناك فمن لم يحصّله في الدنيا لن يحصّله في الآخرة.

- وهناك من سيُحرم من هذا النور.. إنهم المنافقون، والآية تصف المشهد بوضوح: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ﴾.

ستُطفئ أنوار المنافقين ويقعون في الظُلمة، وتحيط بهم، ويرون أنوار المؤمنين، عندها ينادون على المؤمنين ﴿ انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾.. انتظرونا.. أمهِلونا.. نريد أن نستضئ معكم في هذا النور، نسير معكم، ننجو معكم....

فيرد عليهم المؤمنون باستهزاء: ارجعوا للدنيا إن كنتم تقدرون واعملوا وتزودوا. ثم يُحال بينهم وبين المؤمنين بسور له باب باطنه من جهة المؤمنين فيه الرحمة، وظاهره الذي يلي المنافقين فيه النار.

هم الآن لا يرونهم، فقط يسمعونهم فينادي المنافقون مرة أخرى ألم نكن معكم؟ نصلي معكم؟ نصوم معكم؟ نجاهد معكم؟...

فتأتي الإجابة: قالوا بلى قد كنتم معنا في الدنيا على الطاعات في الظاهر ولكنكم فتنتم أنفسكم بالنفاق فوقعتم في الهلاك والمحنة، وتربصتم بالمؤمنين الدوائر، وشككتم في دين الله الحق ولم تصدقوا ما نزل به القرآن، وخدعتكم الأماني والآمال والأطماع الباطلة أن الله سيغفر لكم وما زلتم على ذلك حتى جاءكم الموت.

وقفة مع النفاق[1] :

أكثر علماء اللغة انه مأخوذ من نافقاء اليربوع وهو باب جحره، فاليربوع يحفر له جحراً ثم يسدّ بابه بترابه ويسمى هذا المدخل (القاصعاء) ثم يحفر له مخرجاً آخر حتى إذا بقي من التراب قشرة رقيقة تركها حتى لا يُعرف مكان هذا المخرج فإذا أُتي من قِبل القاصعاء عدا فضرب النافقاء برأسه وخرج منها وهرب.

فكذلك المنافق يُظهر خلاف ما يُبطن.

النفاق في الاصطلاح الشرعي: إظهار الإسلام وإبطان الكفر (وهذا هو النفاق الاعتقادي الأكبر).

أما النفاق العملي أو النفاق الأصغر: وهو الذي ورد في قوله عليه الصلاة والسلام "أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت في خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"[2]. وهذا هو الذي خافه الصحابة على أنفسهم.

عن ابن أبي مليكة قال: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه[3].

قال ابن حجر: والصحابة الذين أدركهم ابن أبي مُليكة من أجلِّهم عائشة وأختها أسماء، وأم سلمة، والعبادلة الأربعة، وأبو هريرة، وعُقبة بن الحارث، والمسور بن مخرمة، وقد ادرك بالسنِّ جماعة أجلّ من هؤلاء كعلي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وقد جزم بأنهم كانوا يخافون النفاق في الأعمال، وذلك لأن المؤمن قد يعرض عليه في عمله ما يشوبه مما يخالف الإخلاص، ولا يلزم من خوفهم من ذلك وقوعه منهم، بل ذلك على سبيل المبالغة منهم والتقوى رضي الله عنهم.

- من أراد الاستزادة في مبحث النفاق فليراجع ملزمة تدبرسورة التوبة.

[1] البحث من كتاب (المنافقون في القرآن)- أ.د عبد العزيز الحميدي –بتصرف.

[2] أخرجه الشيخان

[3] صحيح البخاري، كتاب الإيمان- باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦) اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٧)﴾.

هذه الآية نزلت حين استبطأ الله قلوب الصحابة واستبطأ خشوعهم مع أن القرآن يُنزّل عليهم وحذرهم أن يكونوا كأهل الكتاب الذين قست قلوبهم لطول الأمد بينهم وبين أنبيائهم.

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين.

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾.

ألم يحِن الوقت لهذه القلوب أن تخشع وتلين وتخضع حين تسمع كلام الله؟؟

استفهامٌ فيه استبطاءٌ ومن ثمَّ استحثاثٌ لأهل الإيمان. بمعنى: يا أهل الإيمان إذا رأيتم قسوةً في قلوبكم أو بُعداً أو جفاءً أو جمدَت عيونكم وقلَّ تأثركم بالقرآن فاسعوا حثيثاً لإصلاح قلوبكم فإن في القلب عِلة ولا بد..!

فالأصل أن القرآن هو الذي يرقق القلب ويلينه، وأعظم ما يدرك به الإنسان الخشوع القلبي (القرآن). فلو أن كلاماً يُتلى فتتصدع منه الجبال وتتشقق وتتحرك من أماكنها لكان القرآن.

يقول الله تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [الحشر:٢١].

- كان مالك بن دينار رحمه الله إذا سمع هذه الآية يقول: أقسم لكم لا يؤمن عبدٌ بهذا القرآن إلا صُدِّع قلبه[1].
- يقول ابن عمران الجوني: والله لقد صرف إلينا ربنا في هذا القرآن ما لو صرفه إلى الجبال لحتّها وجباها[2].

وفي هذا إشارة أن القرآن يؤثر في القلوب ومن ثم يظهر الأثر على الجوارح.

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴾ [الزمر:٢٣].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾ [المائدة:٨٣].

---

[1] رسالة الذل والانكسار لابن رجب (٢٨٩/١)

[2] نفس المصدر السابق

يقول الله عز وجل ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ (١٠٩) ﴾ [الإسراء].

وقد نظم ابن المبارك الإمام العلم أبياتاً يصف فيها أهل التهجد بالليل وكيف أنهم يصفون أقدامهم بين يدي ربهم وكيف يقرؤون القرآن ويتأثرون به وتتأثر به قلوبهم وجوارحهم.

يقول:

قد حمّلوا الليل أبداناً مذللةً   وأنفُساً لا دنيّاتٍ ولا دونَ
وراوحْوا بين أقدامٍ لهم صُبرٌ   وأوجُهٌ عفّروا منها العرانينَ
تُمري قوارعُ القرآنِ أعينَهُم   مَرِيَ المَرايِيِ أَكُفّ المستدرّينَ

انقادت لهم أبدانهم وذلت أبدانهم وأنفسهم لله، فنفوسهم ليست دنية ولا هم من أهل الدناءة والنقص والشهوات. وهم يكابدون القيام ويراوحون بين أقدامهم من طوله ويصبرون على طاعة الله، تركوا الفُرش وجاهدوا أنفسهم وأجهدوها وعفّروا أنوفهم في التراب تذللاً وخضوعاً لله.

ويأتي السؤال: لماذا يفعلون ذلك؟؟

والجواب كما قال الحسن رحمه الله: **لأمرٍ ما أسهروا ليلهم ولأمرٍ ما خشعوا في نهارهم!**

لقد أدركوا لذةً هي من النعيم المعجّل لا يعرف طعمها إلا هم.

تُمري قوارعُ القرآنِ أعينَهُم   مَرِيَ المَرايِيِ أَكُفّ المستدرّينَ

تسيلُ أعينهم بالدموع حين يمرون على قوارع القرآن وزواجره، يبكون خوفاً ووجلاً.

وتأمل التشبيه: المستدرّ: هو من يضع كفهُ على ضرع الناقة فيحركها ويحركها ويحركها حتى يستدرّ الحليب من ضرعها.

هؤلاء يقرؤون القرآن، يقرؤون الآية تلو الآية، يكررون ويكرون حتى تتحرك قلوبهم بالقرآن وتنهمر دموعهم كما يُستدرّ الحليب من ضرع الناقة!!

ومن حُرِم هذا البكاء وهذا الخشوع وهذه الدموع فهو المغبون وهو المحروم.. نعوذ بالله من الحرمان

- يروى عن كعب الأحبار أنه قال: مكتوب في الإنجيل "يا عيسى قلبٌ لا يخشع، علمهُ لا ينفع وصوته لا يُسمع ودعاؤه لا يُرفع"[١].

ويصدق ذلك أنَّ النبيَّ ﷺ كان يدعو بهذهِ الدعواتِ اللَّهمَّ إني أعوذُ بك من علمٍ لا ينفعُ ، وقلبٍ لا يخشعُ، ودعاءٍ لا يُسمعُ ، ونفسٍ لا تشبعُ ثم يقولُ : اللَّهمَّ إني أعوذُ بك من هؤلاءِ الأربعِ"[٢].

فالعلم الذي لا ينفع لا ثمرة له، لن يثمر شيئاً. وأكبر ثمرةٍ للعلم النافع أن يُرزق الإنسان الخشية، فانظر إلى قلبك وتفقّده وفتّشه وانظر هل العلم طيّب قلبك؟؟ هل رُزِقت الخشية؟؟

ومن ثم إذا خَشِعَ القلب زهِدت النفس في الدنيا وقنِعت، وإذا لم تقنع وتزهد فستظل تطلب وتطلب وتستزيد من مُتع الدنيا وملذاتها وشهواتها حتى يُصاب القلب بالغفلة والقسوة، والقسوة شقاءٌ ومرض.

والقلب إذا قسا قلّ خيره، وقلّ نفعه، وقلّت بصيرته وتوفيقه...

ومن أكبر أسباب القسوة الانقطاع عن القرآن، وهجر القرآن، فلا قسوة إلا بانقطاع...

من انقطع عن القرآن فهو بمعزلٍ عن الإيمان، لا يمكن لإنسان يريد أن يقوي إيمانه ويحقق إيمانه ثم لا تجده يقرأ القرآن!!

القرآن هو الحبل الممدود الذي طرفه في السماء وطرفه الآخر بيد القارئ.

- "يا أبا ذر عليك بتلاوة القرآن فإنه نورٌ لكَ في الأرض وذخرٌ لك في السماء"[٣]
- القرآن هو العلاج، هو الشفاء، هو الروح.
- القرآن هو الغيث الذي إذا سُقي به القلب دبَّت فيه الحياة وأشرق فيه الإيمان.

- ميمون بن مهران كاتب عمر بن عبد العزيز كان كبيراً في السن وفقد بصره في آخر عمره شَعر أن قلبه تغيّر عليه، فطلب من ابنه أن يأخذه للحسن البصري وهو من كبار علماء التابعين وكلامه يشبه كلام الأنبياء.

وبالرغم من البعد والمشقة والسفر إلا أنه أصر على الذهاب إليه، فلما وصل وطرق بابه وخرج إليه قال: يا أبا سعيد إني آنست في قلبي غِلظةً فاستلِن لي.. أي أخبرني بكلام يوقظ قلبي.. يليّن قلبي

---

[١] رسالة الذل والانكسار لابن رجب
[٢] صحيح النسائي (٥٤٨٥)
[٣] صحيح الترغيب (١٤٢٢)

فقال الحسن: ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغنى عَنهم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ (٢٠٧) ﴾ [الشعراء]، فبكى ميمون حتى أُغمي عليه..!!

إنه القرآن حين ينفذ إلى القلب، وصدق الله ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى:٥٢].

إنه روحٌ وأيُّ روح!!!

فإذا قرأت القرآن ومررت بآية لامست قلبك لا تتركها بل أعِدها وكررها واقرأها مراراً وتكراراً حتى ترسخ في القلب ويستتمّ خشوعك ومن ثم إذا غادرتها فكأن قلبك غُسِل بهذه الآية فتخرج من عللك وأسقامك.

والآية التي نتدارسها ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ من أكثر الآيات التي يستطيع الإنسان أن يربي بها نفسه ويعظ بها نفسه ولربما خرج بها من معصيته، فحين يستحضر الإنسان ضعفه أمام معصيته أو تقصيره أو غفلته التي طال أمدها وطالَ تقلّبه فيها ثم أخذ يردد هذه الآية على قلبه

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾...

ألم يأن؟؟..... ألم يأن؟؟

ألم يحن الوقت ؟ حتى متى الغفلة؟ حتى متى البُعد؟ ألم يحن الوقت للعودة؟

كفاك شروداً ، كفاك خطيئةً ، كفاك تمادياً ، عودي

فالله يحب من عبده أن يُنيب وأن يعود وأن يرجع

يا رب تب علينا لنتوب.. وخُذ بنواصينا إليك أخذ الكِرام عليك[١]

---

[١] ** كتب قيمة يُنصح بها: رقائق القرآن/ الطريق إلى الله- للدكتور إبراهيم السكران
كتاب المواهب الربانية- لابن السعدي
كتاب عشر مفاتح لتدبر القرآن- للدكتور خالد اللاحم

قال تعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠)﴾

حب الدنيا بلاءٌ كبير، هذا الحب يُضعِف الإيمان وهذا الحب يُوصل إلى طول الأمل. وما ضيَّع الناس شيء كطول الأمل، وسورة الحديد عرضت لنا حقيقة الدنيا ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ ﴾.

١- **لَعِبٌ:** وما أكثر اللعب في حياتنا.. كم ضاع من أعمارنا بسبب اللعب.. كم من بناتنا وأولادنا ضاع بسبب اللعب؟!

كرة القدم، الدوريات، النهائيات، كأس العالم، البلوت، الاستراحات... أُهدرت الأعمار في الفراغ واللعب!!

٢- **زِينة:** كزينة النساء تخطف الأبصار ويتبعها خطف القلب.

من زاغ بصره زاغ قلبه، الدنيا تزينت للناس، خدعتهم، ضحكت لهم وعليهم، جذبت أبصارهم، أصبحت مكشوفة لهم في الشاشات والقنوات، معروضة للجميع للغني والفقير والكبير والصغير، الكل أصبح يجري خلفها، حتى الفقير الذي قد لا يملك مصروف أولاده لنهاية الشهر أُفتُتِن بالدنيا وتعلّق قلبه بها..

مرضت القلوب بالدنيا ففقدنا السعادة وحل محلها الشقاء: الشقاء في قلوبنا، الشقاء في بيوتنا، الشقاء في مجتمعاتنا.

يقول الشِبلي: "من ركن إلى الدنيا أحرقته بنارها فصار رماداً تذروه الرياح، ومن ركن إلى الآخرة أحرقته بنورها فصار سبيكة ذهب يُنتفع به، ومن ركن إلى الله أحرقه بنور التوحيد فصار جوهراً لا قيمة له"[١] .. أي لا يقدر قدره أحد!

٣- **وتفاخر:** يتباهى بعضكم فيها على غيره بالأحساب والأنساب والمال والولد.

٤- **وتكاثر:** مُغالبة وتطاول بكثرة العدد والعدة والأموال والأولاد.

فانتبه يا مؤمن لا تغتر بها، اعرف حقيقتها وأنها مثل نبات الربيع، والربيع ما أن ينبت ويفرح به الناس وبقدومه وبأزهاره وبرائحته، ثم ماذا؟؟؟ إلا وسرعان ما يزول! هو مجرد فصل من الفصول سيأخذ وقته وينتهي....!

---

[١] المحجة في سير الدلجة لابن رجب.

يخضرّ ويخضرّ ويُزهر ويُعجب الناظر إليه، يُسرّ به ثم ييبس ويصفرّ ثم يصبحُ هشيماً تذروه الرياح لا قيمة له...

إنها حقيقة الدنيا: ربيعٌ زائل تمر كالحلم، فلا يطول أملك فيها فتصدك عن الله وعن الإيمان..

◆ **قال تعالى:** ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١) ﴾.

ذكرت السورة وسيلة جديدة من وسائل تحقيق الإيمان وهي ***المسابقة***..

فيا من تريد زيادة الإيمان اعلم أن الإيمان هو تصديقٌ بالقلب وقولٌ باللسان وعملٌ بالجوارح.

فالعمل جزءٌ من الإيمان وكلما زاد العمل زاد الإيمان.

فليس من صلى ركعتين كمن صلى أحد عشر ركعة، وليس من قرأ جزءاً كمن قرأ ثلاثة أجزاء، وليس من صلى الفرائض فقط كمن صلى الفرائض بسننها ورواتبها، وليس من اكتفى بالأذكار بعد الصلوات كمن لسانه لا يفارق ذكر الله.

نعم المداومة على الأعمال الصالحة وإن كانت قليلة فهذا برٌّ وخير وعلامةُ صلاحٍ وعلامةُ إيمان، ولكننا الآن نتكلم عن مرتبة أعلى، عن تحقيق عن زيادة وليس عن الإيمان فقط. فمن أراد العلو والدرجات لن يرضى بالقليل..

وكما قال الدارني: التوفيق على قدر القُربى.

أي كلما زاد العبد في العمل كلما زاد الرب في التوفيق والعطايا والهبات، والقاعدة التي أصّلها أهل العلم تقول: *من قصدَ الله سهّل الله له الوصول إليه*.

والله ما جئتكمُ زائراً　　　　إلا وجدتُ الأرض تُطوى لي

إذا امتلأت القلوب بالله لن يقف أمامها شيء، ستنطلق وتمضي وتسارع وتسابق، والمحكُّ في هذه المسابقة "***الصدق***"..

فالصادق همتهُ ربُه.. لقد كَبُرتْ همةٌ اللهُ مطلوبها..

يقول ﷺ: "إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة"[١].

ومن علامات ودلائل الصدق أن يبذل الإنسان وسعهُ في الوصول إلى محبوبه ومرغوبه ومطلوبه.. فلنجتهد ولنستعن بالله ونطرح عنا الكسل.

والمؤمن ينبغي له أن لا يفوّت ما عند الله، فالله عز وجل يقول [ابن آدم قُم إليّ أمشي إليك، امشِ إليّ أهرول إليك][٢].

---

[١] صحيح البخاري (٥٧٤٣)

[٢] رواه أحمد (٤٧٨/٣) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٨٧)

قال تعالى: ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١) مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ(٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ(٢٣) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٤)﴾.

وسيلة جديدة تعرضها لنا السورة لتحقيق الإيمان وهي: **الإيمان بالقضاء والقدر**، من وسائل تثبيت وترسيخ الإيمان.

كيف يحقق المؤمن إيمانه من خلال القضاء والقدر؟

١- بأن يعتقد أن هذه المصائب من قضاء الله وقدره وأنها بتقدير الله وبأمره وعلمه ومشيئته.

٢- أن قدر لله نافذ "ما أصابك لم يكن ليخطئك وما خطأك لم يكن ليصيبك".

٣- يؤمن بأن الله له سنن لا تتبدل ولا تتغير. ومن سنن الله في خلقه سنة الإبتلاء وهي سنةٌ ماضية في العباد ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٥٥) ﴾ [البقرة]، فالمؤمن يهيأ نفسه للابتلاء.

٤- يؤمن أن الله لا يقدّر على عباده إلا ما يستطيعون تحمله ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦] وما فيه منفعتهم ومصلحتهم، فالله لم يخلق عباده ليعذبهم ولا ليهلكهم بل ليرحمهم، وهذه الأقدار إنما هي تربية من الله لنا ليُصلح قلوبنا وأحوالنا.. وكل تربيةٍ فيها لطفٌ ورحمة، ورحمته ولطفه لا ينفكان عنه سبحانه وبحمده.

٥- من جهة أخرى فلينظر للبلاءات أنها من ممحصات ومكفرات للذنوب، فإن من الذنوب ما لاتمحوه الأعمال والطاعات، لا يمحوه إلا اعتصارُ القلب واشتدادُ الألم والبكاء الحار.. عندها تأتي المغفرة والتكفير والتطهير.

روى الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية بألفاظ مختلفة متقاربة أن رسول الله ﷺ قال: إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة، قالوا: فما يكفرها يا رسول الله؟ قال: الهموم.

وقد قال ﷺ: " ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفّر الله بها من خطاياه"[١].

ولكن المهم وأنت في معمعة الابتلاءات أن لا تهول ولا تضخم المصاب وتصبح وتمسي وأنت تدور في دائرته وكأنه لم يُبتلى إلا أنت ولم يتألم إلا أنت والناس كلهم في عافية!!

واحذر أن تشتكي الله إلى خلقه، إياك أن ينظرَ الله إلى قلبك فيجد فيه تسخطاً وجزعاً، فالشان كل الشأن أن ينظر الله لقلوبنا حين ينزل البلاء فيرى فيها الرِضا عن أقداره وأفعاله فيهون علينا البلاء.

كلَّ مصيبةٍ نزلتْ بِك فجللتها بحُسن الظنِ انقلبتْ بركةً عليك.

٦- كلما ضاق عليك البلاء واستحكمَ وانغلقْ فارفع يديك وقل (ربنا أفرِغ علينا صبراً).. هذا هو دعاء الصالحين كما ورد في القرآن، يا رب هب لنا صبراً واسعاً تُفيضه على قلوبنا، تُفْرغُه علينا إفراغاً كما يُفرّغ الماء من القِرب.

٧- وأنت في مُصابك استمسك بحبل الله كثيراً كثيراً حتى لو تخلى عنك الناس، فهذا خيرٌ أراده الله بك ليكون الله وكيلك في هذا البلاء، استغني به، فمن استغنى بالله أغناهُ الله عن كل أحد...

٨- لا تظن بربك إلا خيراً، فما من مُبتلى يظن بربه خيراً إلا عامله ربه بهذا الظن وكان عاقبةُ أمره إلى خير.

(فما ظنكم برب العالمين)

ما ظنكم بهذا الرب العظيم الكريم الرحيم البرّ اللطيف

يا رب اجعلنا ممن ظن بك الخير فأعطيته ووفيته وأكرمته وزدته من فضلك يا كريم

---

[١] رواه البخاري (٥٣١٨) ومسلم (٢٥٧٢)

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥)﴾.

لقد أرسل الله الرسل وأنزل على كل رسولٍ منهم كتاباً ليطبق الناس شريعة الله وأنزل معهم العدل لتقوم حياة الناس عليه، وأنزل الحديد وجعلَ فيه قوة شديدة، ومنافع للناس في معاشهم وأمور دنياهم وصناعاتهم وإعداد أسلحتهم وعتادهم ومقاتلة أعدائهم والدفاع عن دينهم.. فآلات الحرب وأسلحته لا تُصنع من الذهب والفضة.. إنها تُصنع من الحديد!!!

فهذه دعوة لنُصرة هذا الدين، وأن نأخذه بقوة، فهذا الدين لا يأخذه ولا يخدمه ولا يبلّغه ولا ينصُره إلا الأقوياء أولي العزم من الناس..

الأقوياء في توحيدهم، الأقوياء في إعدادهم، الأقوياء في أخذهم للأسباب وفي قيادة أنفسهم، هذا الدين لا يخدمه الضعفاء ولا الجبناء ولا المتثاقلين ولا المتباطئين ولا المترددين الكُسالى ضِعاف النفوس..

لا ينصره إلا الأقوياء، هذه القوة باعثة على العطاء، باعثة على العمل، على الاستمرار، على المضيّ وعدم الإنقطاع مهما كانت الصوارف والشواغل والمعيقات،، لأن الأقوياء فقط هم الذين ينتظرون الوصول...

إذا شكَتْ من كلالِ السيرِ أوْعدْهَا روْحُ القدومِ فتحيا عند ميعادِ

إنها فرحة الوصول... يا رب أكرِمنا بها وأذِقنا إياها...

خُتمت السورة بالوعود والفضل:

◆ **قال تعالى:** ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٨) لِئَلا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩) ﴾

من آمن واتقى وجاهد ونَصرَ هذا الدين وثبت عليه وجاهد على تحقيق إيمانه فإن له كفلين.. له أجره مرتين وله النور، له المغفرة، له الفضل، ولله ذو فضل عظيم...

فلا يستكثر على فضل ذي الفضل العظيم الذي عمَّ فضله أهل السموات والأرض، فلا يخلو مخلوق من فضله طرفة عين ولا أقل من ذلك

نسأل الله من فضله ومن واسع كرمه وأن يبسط علينا جميعاً من بركاته ورحمته وفضله ورزقه
وأن يتقبل منا هذا العمل بقبولٍ حسن هو ولي ذلك والقادر عليه
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تم بحمد الله